اقتران التسبيح بالتحميد في القرآن الكريم والسنة النبوية "دراسة عقدية"

إعداد

د. أمين بن أحمد بن عبد الله السعدي
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة طيبة بالمدينة النبوية

مجلة الدراسات التربوية والانسانية. كلية التربية. جامعة دمنهور
المجلد الخامس عشر- العدد الرابع – الجزء الثالث- لسنة 2023.

اقتران التسبيح بالتحميد في القرآن الكريم والسنة النبوية "دراسة عقدية"

د. أمين بن أحمد بن عبد الله السعدي

ملخص البحث

يتناول هذا البحث التسبيح والتحميد في القرآن والسنة ، وأهمية ذلكم الذكر ، وما دل عليه من التعظيم وإثبات صفات الكمال لله تعالى ، وتنزيهه جل في علاه عن النقائص والعيوب ، ولما لهذا الارتباط والاقتران من العبودية لله تعالى والتعظيم وحسن الجزاء والإثابة للداعي . وكذلك بيان الدلالات العقدية لاقتران التسبيح بالتحميد وما في هذا الاقتران من التعظيم وترسيخ الإيمان في قلب المسلم .

الكلمات المفتاحية: التحميد ، تسبيح، دلالات، العقدية، اقتران .

Abstract

This research deals with glorification and praise in the Qur'an and Sunnah, and the importance of that remembrance, and what it indicates of glorification and proof of the perfect attributes of Allah Almighty, and His exaltation, may He be exalted, above all shortcomings and defects, and because of this connection and coupling of servitude to God Almighty, glorification, good reward, and reward for the supplicant. As well as a clarification of the doctrinal indications for coupling glorification with praise, and what is in this coupling of glorification and the consolidation of faith in the heart of a Muslim.

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ چ (آل عمران).

چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ (النساء)

چ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ چ (الأحزاب). أما بعد:

فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ،وبعد:

فإنّ توحيد الله والتزام شريعته سبحانه أهم الواجبات ،لذا فإنّ من سبل ترسيخ العقيدة وتقويتها في قلب المسلم ذكر الله تعالى وما يترتب عليه من الأجر والثواب كما قال سبحانه :چبم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي چ (الرعد).

ومما يقوي التوحيد ويزيد في الإيمان :ذكر الله تعالى ،لا سيما الأذكار المتعلقة بتعظيم الله وتنزيهه مع إثبات صفات الكمال والجلال له سبحانه .

والتسبيح والتحميد أمر من الله تعالى للعبادة بالمداومة على هذا الذكر في جميع الأوقات،وأفضل الذكر هو ما اختاره الله تعالى اعباده؛ لذا كان عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بربه وأخشاهم له وذلك بتعظيمه لربه سبحانه وإجلاله ومحبته .

كما أنّ باب الأذكار من أعظم أبواب الأجر التي يحرص عليها المسلم ، وقد ترتب عليها الأجور العظيمة من الله سبحانه وتعالى، ومن أشهر تلكم الأذكار تسبيح الله وحمده ، والتي جاء اقترانهما كثيرا في النصوص الشرعية منها قول الله جل وعلا : . چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ چ (الأحزاب: ٣٥)، وقوله سبحانه: چ ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو چ (البقرة: ١٥٢).وقال : چ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ چ

(الأعراف)وقال عليه الصلاة والسلام:((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ))[1] .والنصوص كثيرة في هذا الباب.

ومع هذه النصوص المتكاثرة التي تحث على اليقين واستحضار ما دلت عليه من المعاني فإننا نجد أنّ كثيرا من الناس قد يلتزم بالأذكار الشرعية ،وقد يكثر منها في أوراده ،ومع ذلك لا يعلم تلك المعاني العظيمة التي اشتملت عليها هذه الأذكار المباركة ،بل قد يغفل عن استشعارها وما فيها من معاني الإجلال والتعظيم والمحبة لله تعالى ، مما يفوت عليه فوائد كثيرة؛ ولو تفقه في هذا الباب لفاز بأجور عظيمة . ومن هذه الأذكار ما يتعلق بالتسبيح والتحميد لله تعالى .

وقد استعنتُ بالله تعالى في الكتابة في هذا الباب من الذكر ، مبيّنا ما اشتملت عليه هذه الألفاظ من معانٍ جليلة ،جاعلاً ذلك في مباحث مستقلة ،مبيّنا كذلك الدلالات العقدية من اقتران التسبيح بالحمد ، ومحاولاً استلهام بعض الفوائد والإشارات والمعاني الايمانية والعقدية ، لعل ذلك يكون دافعاً ومحفزاً لكثرة ذكر الله تعالى بهذه الكلمات باستحضار معانيها ودلالاتها ؛ليزداد المسلم إيمانا وإجلالا لمولاه سبحانه وتعالى .

حدود البحث:

هذا البحث يتناول الكلام عن التسبيح والتحميد الوارد في النصوص الشرعية ، وذكر ما تضمنته من معاني الكمال والجلال لله تعالى ، وبيان الدلالات العقدية في اقتران التسبيح والتحميد .

مشكلة البحث:

يمكن إيراد التساؤلات الآتية في بيان مشكلة البحث والتي أسعى للوصول لنتائجها والمقصود الأصلي من البحث فيها: ما معنى التسبيح ؟، وما معنى التحميد؟ ، وما النصوص الواردة في ذلك ؟، وما الدلالات العقدية في اقتران التسبيح بالتحميد ؟

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (6407).

أهمية الموضوع ،وسبب اختياره :

وكان من أسباب اختياري للموضوع وما يبين أهميته ما يلي :

١ – تعلقه بعقيدة المسلم، وذلك في جانب التعظيم لله تعالى وتنزيهه سبحانه عن المعايب والنقائص.

٢ – صلة التسبيح والتحميد بالإيمان وترسيخ عقيدة المسلم وتقويتها .

٣ – عنايته بجانب الدلالات العقدية لهذه الألفاظ وما لها من دور في الإيمان ومعرفة الله بأسمائه وصفاته ؛مما يزيد في الإيمان ويقرب العبد من ربه سبحانه .

أهداف البحث:

١ –توضيح جوانب مهمة في التسبيح والتحميد .

٢ –استجلاء كلام أهل العلم حول معاني التسبيح والتحميد وأثرهما في عقيدة المسلم .

٣ –محاولة إظهار الدلالات العقدية لاقتران التسبيح بالتحميد في النصوص الشرعية .

منهج البحث:

استخدمت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي والاستنباطي ، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو الآتي :

عزو الآيات إلى سورها ، وكتابتها بالرسم العثماني .

تخريج الأحاديث عند ورودها من مصادرها ، والحكم عليها من كلام أهل العلم إذا لم تكن في الصحيحين أو في أحدهما .

– عزو النقول والأقوال إلى مصادرها الأصلية .

ضبط بالشكل لما يحتاج من النصوص .

هذا وأسأل اللَّه سبحانه وتعالى التوفيق والسداد فيما رجوت ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

خطة البحث:قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي: .

المبحث الأول: معنى التسبيح والتحميد، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى التسبيح.

المطلب الثاني: معنى التحميد.

المطلب الثالث: معنى اقتران التسبيح بالتحميد.

المبحث الثاني: ما ورد من اقتران التسبيح بالتحميد من الكتاب والسنة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: من السنة النبوية.

المبحث الثالث: الدلالات العقدية من اقتران التسبيح بالتحميد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف الدلالات العقدية لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني : الدلالات العقدية من اقتران التسبيح بالتحميد.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات ،وقائمة بالمصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات

المبحث الأول: معنى التسبيح والتحميد ،وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى التسبيح

كلمة التسبيح لغةً مأخوذة من مادة سبح، وهذه الأحرف الثلاثة: السين والباء والحاء، لها أصلان لغويان، فالأصل الأول: جنس من العبادة، مثل الصلاة، والتنزيه لله تعالى، والأصل الثاني: جنس من السعي، كجري الفرس، والسباحة في الماء[2].

وهذان الأصلان يرجعان إلى معنى لغوي واحد، وهو: الإبعاد عن السوء، والمرُّ السريع[3] ، كما قال تعالى في وصف النجوم والكواكب : چ ئۇ ئۇ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى يي ئج ئح ئم ئى ئي چ (يس) ، وقال عن سرعة وجري الخيول : چہ ہ ھ چ (النازعات) [4].

ومن هذا الأصل اشتقّت المعاني المذكورة في مصطلح التسبيح، ولذلك قيل في أصله أنه المرُّ عبادة الله[5]، وتنزيه الله تعالى وإبعاده عن النقائص[6].

والتسبيح مصدر سبّح، وكذلك من مصادره : سبحان، ومعناه في اللغة: "تنزيه لله عز وجل عن السوء...وجماع معناه: بُعده تبارك وتعالى عن أن يكون له مثل، أو شريك ،أو ضد ،أو ندّ "[7].

كما أن التسبيح في الاصطلاح هو : تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء. والتنزيه: التبعيد. والعرب تقول: سبحان من كذا، أي ما أبعده [8] .

وكذلك التسبيح يراد به على "ما يدل عليه من قول، وأشهر ذلك هو قول: سبحان الله وما يرادفه من الألفاظ"[9]، نحو: السبوح والقدوس.

ومفهوم التسبيح الشرعي فيه جانبان : التنزيه والتعظيم ، ويُقدِّم أحد المعنيين على الآخر بحسب السياق ،لا كما شاع عند كثيرين بأنّ التسبيح بمعنى التنزيه ، وهذا ليس بدقيق [10] .

([2]) انظر: معجم مقاييس اللغة ،لابن فارس(125/3)، ولسان العرب، لابن منظور (470/2)، وتاج العروس، للجوهري (45/4).
([3]) انظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي (321/2).
([4])انظر: القاموس المحيط(ص222).
([5]) انظر:مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهاني(ص221)،والتوقيف على مهمات التعاريف(ص 396).
([6]) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (331/2).
([7]) تهذيب اللغة ،للأزهري(4/ 196)
([8]) انظر: معجم مقاييس اللغة (125/3).
([9]) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (27/ 84).

وجاء في السنة ما يوضح أنَّه التنزيه مع التعظيم ،فليس في النصوص هذا الباب نفي محض ؛بل النفي لإثبات كمال الضد ، كما يدل على ذلك حديث حذيفة بن اليمان ♦ في روايتين تبينان معنى التسبيح، فالرواية الأولى قال: "صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة – وفيه– إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح"[11].

وهذا التسبيح جاء مفسراً في الرواية الأخرى: أنَّ النبي ﷺ صلَّى ، فكان إذا مرَّ بآية رحمة سأل، وإذا مرَّ بآية عذاب استجار، وإذا مرَّ بآية فيها تنزيه لله سبح[12]. فقد فسّر التسبيح بالتنزيه.

ولذلك يعّرف التسبيح أنَّه تنزيه الله وتبعيده عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، اعتقاداً وقولاً وعملاً[13].

وهذا التنزيه لله تعالى بتسبيحه يتضمن إثبات كمال الضدِّ، من صفات العظمة والجلال، لأنّ النفي في الصفات الإلهية لا بدَّ أن يتضمن كمال ضد المنفي، وإلا كان نفياً محضاً لا كمال فيه،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والصفات السلبية إنما تكون كمالاً إذا تضمنت أموراً وجودية، ولهذا كان تسبيح الربِّ يتضمن تنزيهه وتعظيمه جميعاً، فقول العبد: سبحان الله، يتضمن تنزيه الله وبراءته من السوء، وهذا المعنى يتضمن عظمته في نفسه، ليس هو عدماً محضاً لا يتضمن وجوداً، فإنَّ هذا لا مدح فيه ولا تعظيم"[14].

وقد سُئل ابن عباس رضي الله عنهما: ما سبحان الله؟ ، فقال: "كلمة رضيها الله عز وجل لنفسه، وأمر بها ملائكته، وفزع لها الأخيار من خلقه "[15] .

لذلك يقول السمعاني رحمه الله عن لفظة (سبحان الله) : " كلمَة سُبْحَانَ؛ كلمة ممتنعة لَا يحوز أَن يُوصف بهَا غير الله؛ لِأَن الْمُبَالغَة فِي التَّعْظِيم لَا تلِيق لغير الله..."[16] .

([10])انظر بحث مختصر بعنوان : (هل التسبيح التنزيه فقط ، وهل يصح قولنا : سبحانك بعد ذكر الثناء على الله)، للأستاذ الدكتور / مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار على موقع : ملتقى أهل التفسير https://mtafsir.net

([11]) أخرجه مسلم في صحيحه برقم(772).

([12]) أخرجه ابن ماجه باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل (1351)، وصححه الألباني.

([13]) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(540/7)، وتفسير أبي السعود(1/ 83).

([14]) مجموع الفتاوى (17/ 144).

([15]) رواه الطبراني في الدعاء(ص499)برقم (1758).

([16])تفسير القرآن (212/3).

كما أنّ في التسبيح دلالة واضحة على وحدانية الله تعالى ،وتنزيهه عن افتراءات المشركين وأهل الضلال ؛ فالله ﷻ مستغن عن خلقه، فهو ذو العزة كما قال سبحانه عن نفسه : چئى ئد ى ى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى چ (الصَّافات).

وكما قال سبحانه : چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ چ (الحجر): فقد أمر بنا بِتَسْبِيحِه وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا يَقُولُونَهُ مِنْ نِسْبَةِ الشَّرِيكِ، أَيْ: عَلَيْكَ بِتَنْزِيهِ رَبِّكَ ،فَلَا يَضُرُّكَ شِرْكُهُمْ. عَلَى أَنَّ التَّسْبِيحَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَاهُ الْكِنَائِيِّ مَعَ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ ،فَيُفِيدُ الْإِنْكَارَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِيمَا يَقُولُونَ، أَيْ فَاقْتَصِرْ فِي دَفْعِهِمْ عَلَى إِنْكَارِ كَلَامِهِمْ. ،وَالْبَاءُ فِي {بِحَمْدِ رَبِّكَ} لِلْمُصَاحَبَةِ. وَالتَّقْدِيرُ: فَسَبِّحْ رَبَّكَ بِحَمْدِهِ فَحُذِفَ مِنَ الْأَوَّلِ لِدَلَالَةِ الثَّانِي. وَتَسْبِيحُ اللَّهِ تَنْزِيهُهُ بِقَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ [17] .

وأشار الإمام السمعاني–رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى چ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ (الواقعة) لمعنى لطيف ، حيث قال :"وَقَوله: چ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ (الواقعة) أَي: نزِّهِ رَبَّك وعظمه، كَأَنَّهُ أرشده إِلَى الِاشْتِغَال بثنائه وتسبيحه وتقديسه ليصل إِلَى دَرَجَة المقربين "[18] .

ويقول الإمام العز بن عبدالسلام –رحمه الله – في تفسيره : " التسبيح : التنزيه من السوء على وجه التعظيم، فلا يُسبَّح غير الله تعالى؛ لأنه قد صار مستعملاً في أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه..." [19] .

فهذا معنى التسبيح الذي تكاثرت النصوص في الحث عليه ،ودلالته على تنزيه الله تعالى المتضمن لكمال سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

([17]) التحرير والتنوير(91/14). ويذكر الطاهر بن عاشور أيضا بأنّ التسبيح دَالٌّ عَلَى تَنْزِيهِ اللَّهِ بِطَرِيقَةِ إِجْرَاءِ الْأَخْبَارِ الطَّيِّبَةِ أَوِ التَّوْصِيفِ بِالْأَوْصَافِ الْمُقَدَّسَةِ لِإِثْبَاتِهَا إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَى ذَاتِهِ تَعَالَى مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْمَعَانِي، وَلِمَا كَانَ أَقْوَالًا كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِاسْمِ اللَّهِ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهِ عَلَى الذَّاتِ، فَالْمَأْمُورُ بِهِ إِجْرَاءُ الْأَخْبَارِ الشَّرِيفَةِ وَالصِّفَاتِ الرَّفِيعَةِ عَلَى الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْلَامٍ وَصِفَاتٍ وَنَحْوِهَا، وَذَلِكَ آيِلٌ إِلَى تَنْزِيهِ الْمُسَمَّى بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ. وَلِهَذَا يَكْثُرُ فِي الْقُرْآنِ إِنَاطَةُ التَّسْبِيحِ بِلَفْظِ اسْمِ اللَّهِ نَحْوَ قَوْلِهِ: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} (الْوَاقِعَة: 74)"المصدر السابق(273/30).

([18]) تفسير القرآن (363/5).

([19])تفسير القرآن (115/1).

المطلب الثاني: معنى التحميد

التَّحْمِيْدُ: مَصْدَرُ حَمَّدَ يُحَمِّدُ تَحْمِيْدًا، ومَعْناهُ: كَثْرَةُ حَمْدِ اللهِ تعالى بِالمحامِدِ الحسَنَةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وهو أَبْلَغُ مِن الحَمْدِ. كَثْرَةُ حَمْدِ اللهِ تعالى بِالمَحامِدِ الحَسَنَةِ، وهو أَبْلَغُ مِن الحَمْدِ [20] .

والحمد لغة: مصدر حَمِد، يقول ابن فارس: " الحاء والميم والدال كلمة واحدة وأصل واحد يدل على خلاف الذم، يقال: حمدتُ فلاناً أحمده، ورجل محمود ومحمَّد: إذا كثُرت خصاله المحمودة غير المذمومة "[21].

وفي الاصطلاح هو: الثناء على المحمود بجميل صفاته وأفعاله[22]. وعرف بأنه الحمد هو : الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم له ..."[23] .

كما أنّ الحمد لا بدَّ أن يكون متضمناً معنى التعظيم للممدوح، مع خضوع المادح[24]، كما قال ابن القيم رحمه الله : "الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله مع محبته والرضا عنه والخضوع له"[25].

والحَمد يكون بِمَعْنى الشُّكْر على النِّعْمَة، وَيكون بِمَعْنى التَّحْمِيد وَالثنَاء على الْأَوْصَاف المحمودة. يُقَال: حمدت فلَانا على مَا أسدى إِلَيّ من النِّعْمَة. وَيُقَال: حمدت فلَانا على شجاعته ، وحمد الله تَعَالَى لنَفسِهِ حسن لَا كحمد المخلوقين لأَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنّ حمد المخلوقين لَا يَخْلُو عَن نقص؛ فَلَا يَخْلُو مدحه نَفسه عَن كذب؛ فيقبح مِنْهُ أَن يمدح نَفسه. وَأما الله – جلّ جَلَاله – بَرِيء عَن النَّقْص وَالْعَيْب؛ فَكَانَ مدحه نَفسه حسنا [26] .

وأما التحميد لله فهو كثرة حمد الله بحسن المحامد[27]، وكذلك هو حمد الله مرّة بعد مرّة [28]، فهو يجمع شيئين هما : كثرة الحمد، والاتيان بالألفاظ الجامعة للمحامد.

([20]) انظر: مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي(ص80)،وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي(39/8)،ولسان العرب، لابن منظور (156/3).

([21]) معجم مقاييس اللغة (100/2)، وانظر: تاج العروس (8/ 38) ،لسان العرب (3/ 155).

([22]) تهذيب الأسماء واللغات، للإمام النووي (3/ 70)

([23]) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، لابن علان المكي(203/1).

([24]) المصباح المنير، للفيومي (ص: 80)

([25]) مدارج السالكين، لابن القيم (1/ 49) ،وينظر: تفسير الطبري (1/ -135-136)

([26]) انظر: تفسير القرآن ،للسمعاني (35/2).

([27]) كتاب العين ،للخليل بن أحمد (3/ 188)

([28]) المحكم والمحيط الأعظم ،لابن سيده (3/ 267)

والتحميد لله تعالى "يتضمن إثبات أسمائه الحسنى، وكلها محامد له، وهو يتضمن ذكر آياته وآلائه، فإنه محمود على آلائه كلها، وآياته كلها من آلائه"[29].

فكل ما تقدم في معنى التحميد يدل على عظيم ما يحمله هذا اللفظ من معاني الكمال لله تعالى ،فإنّ حمد الله عبادة يقر بها العبد رضاه عن موالاه وأفعاله الحكيمة الدائرة بين الفضل والعدل ،وإيمانه بقضاء الله وقدره وتسليمه له دون تسخط أو اعتراض.

وقد أشار العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله – إلى أمر التحميد ومنزلته فقال حامدا لله مثنيا عليه بالكمال المطلق :" الذي له جميع المحامد والمدائح كلِّها، وهي جميع صفات الكمال، فكلُّ صفة من صفاته يحمد عليها، ويحمد على آثارها ومتعلقاتها، فيحمد على كلِّ تدبير دبّره ويدبره في الكائنات، ويحمد على ما شرعه من الشرائع وأحكمه من الأحكام، ويحمد على توفيقه أولياءه وعلى خذلانه لأعدائه، كما يحمد على إثابته للطائعين وعقوبته للعاصين، وله الحمد على ما تفضل به على العباد من النعم والخيرات والبركات التي لا يمكن العباد إحصاؤها ويتعذر عليهم استقصاؤها "[30] .

ولا شك أنَّ التحميد من أجلِّ الأذكار، وله منزلة جليلة في القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة، ومما يدلُّ على فضله، أنَّ الله – سبحانه وتعالى – أَمَر به رُسُله عليهم السلام في مواضع عديدة من كتابه العزيز، إضافة إلى أنَّ في استخدام القرآن الكريم للحمد بصيغة فِعل الأمر (قُل) خاصة دلالة بيِّنة على أهمية التحميد وجلالة منزلته، ومما يوضِّح منزلته أنَّ الله – سبحانه وتعالى – جَعله عبادة أهل الجنة [31] .

ومهما حاول العبد استقصاء هذا التحميد والثناء على المولى سبحانه ،فلن يستطيع ؛إذا لم يحصِ الرسول ﷺ حمد ربه والثناء عليه وهو أعلم الناس بالله تعالى أعظمهم خشية له سبحانه حيث قال : ((لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك))[32] .

([29]) جامع المسائل لابن تيمية (3/ 288)

([30]) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، لابن سعدي (ص23).

([31]) انظر موضوع (حمد الصالحين لله في ضوء القرآن الكريم)في مجلة البيان على موقع .https://www.albayan.co.uk

([32]) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (486) .

يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله – : "ومن استقرى الاسماء الحسنى وجدها مدائح وثناء تقصر بلاغات الواصفين عن بلوغ كنهها، وتعجز الاوهام عن الاحاطة بالواحد منها.

ومع ذلك فلله سبحانه محامد ومدائح وأنواع من الثناء لم تتحرك بها لخواطر، ولا هجست في الضمائر، ولا لاحت لمتوسم، ولا سنحت في فكر "[33] .

ولا يقتصر حمده سبحانه استحقاقه لنعوت الكمال والجلال فحسب ، فإن هناك حمدا آخر وهو حمد على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مَا يُحْمَدُ فَإِنَّمَا يُحْمَدُ عَلَى مَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَكُلُّ مَا يُحْمَدُ بِهِ الْخَلْقُ فَهُوَ مِنْ الْخَالِقِ ،وَالَّذِي مِنْهُ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ هُوَ أَحَقُّ بِالْحَمْدِ ؛فَثَبَتَ أَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْمَحَامِدِ الْكَامِلَةِ ،وَهُوَ أَحَقُّ مَنْ كُلِّ مَحْمُودٍ بِالْحَمْدِ وَالْكَمَالِ مِنْ كُلِّ كَامِلٍ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ [34] .

المطلب الثالث: معنى اقتران التسبيح بالتحميد.

فعلى ما تقدم من معنى التسبيح والتحميد، فإنّ المقصود بجمع هذين اللفظين، هو تنزيه الله عما لا يليق به، وإثبات صفات الكمال والجلال والجمال على ما يليق بالله تعالى، والثناء بها عليه سبحانه، وهذا هو الحمد، ولذا كان التسبيح والتحميد من أجمع الثناء على الله تعالى، وذلك على قاعدة القرآن الكريم في نفي النقائص وإثبات الكمال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : "التسبيح يتضمن نفي النقائص والعيوب، والتحميد يتضمن إثبات صفات الكمال التي يحمد عليها"[35]، "فالتسبيح قرين التحميد"[36]، "ولهذا كان تسبيحه تعالى من تمام حمده، وحمده من تمام تسبيحه"[37].

وبهذا يتبين أنَّ التسبيح لا بدَّ أن يتضمن إثبات المحامد وصفات الكمال لله تعالى، وإلا كان التسبيح تنزيهاً غير محمود، كما اتخذته الجهمية ذريعة لنفي الصفات الإلهية، بدعوى تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، فسبّحوا الله تعالى على غير ما حمد به نفسه، قال الحافظ ابن رجب–

([33]) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ص224).
([34]) انظر : مجموع الفتاوى(84/6).
([35]) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لشيخ ٱسلام ابن تيمية (ص 31).
([36]) مجموع الفتاوى (24/ 231).
([37]) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ص236).

رحمه الله– في اقتران التسبيح بالتحميد: "سبِّحه بما حمد به نفسه، إذ ليس كلٌّ تسبيحٍ بمحمود، كما أنَّ تسبيح المعتزلة يقتضي تعطيل كثير من الصفات"[38].

ولعل هذا من أسرار اقتران التسبيح بالتحميد، " ولهذا لم يرد التسبيحُ مجرَّداً ، لكن مقروناً بما يدلُّ على إثبات الكمال، فتارةً يقرن بالحمد، كقول: سبحان الله وبحمده، وسبحان الله والحمد لله، وتارة باسم من الأسماء الدَّالَّة على العظمة والجلال، كقوله: سبحان الله العظيم"[39].

والتسبيح فيه التنزيه، وهو النفي والتخلية، والتحميد فيه الإثبات والتحلية، على قاعدة التخلية قبل التحلية، كما هو مدلول كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، فأولها نفي، وآخرها إثبات، وطريقة أهل السنة والجماعة في توحيد الاسماء والصفات أنَّهم يجمعون بين النفي والإثبات.

فجمع اقتران التسبيح بالتحميد تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به من صفات النقائص والعيوب، كما جمع أيضاً جميع صفات الكمال والجلال والجمال من الأسماء الحسنى والصفات العلى على ما يليق بالله تعالى، فدخل في ذلك توحيد الأسماء والصفات برمّته، وهذا يوضحه ويبيّنه معنى الجمع بين التسبيح والتحميد، كما يلي.

قال أبو العباس القرطبي–رحمه الله– في شرح معنى "سبحان الله وبحمده": "هذا الكلام على اختصاره جملتان، إحداهما: جملة "سبحان الله" فإنَّها واقعة موقع المصدر، والمصدر يدلّ على صدره، فكأنَّه قال: سبحت الله التسبيح الكثير، أو التسبيح كله، على قول من قال: إنَّ سبحان الله: اسمُ علمٍ للتسبيح، "وبحمده": متعلق بمحذوف تقديره: وأثني عليه بحمده، أي: بذكر صفات كماله وجلاله، فهذه جملة ثانية غير الجملة ا لأولى "[40].

وعلى هذا يقتضي أنّ الواو في قوله: وبحمده، عاطفة، وفيها قول ثان: أنها للحال، " أي: أسبّحه متلبساً بحمدي له"[41]، "من أجل توفيقه لي للتسبيح "[42]

ويوضّح ذلك أيضاً معنى الباء في قوله: وبحمده، ففيها قولان ذكرهما ابن هشام الأنصاري:

([38]) تفسير سورة النصر، لابن رجب الحنبلي (ص72).
([39]) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي (643/2).
([40]) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم(53/7).
([41]) التيسير بشرح الجامع الصغير ، للمناوي (2/ 220).
([42]) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (9/ 230).

الأول: أنها للمصاحبة، وعلى هذا فالحمد مضاف إلى المفعول، والمعنى: أسبح الله حامداً له، أي: أجمع بين تسبيحه وتنزيهه من كل ما لا يليق به تعالى، مع حمده الذي هو إثبات الكمال لله تعالى.

الثاني: أنها للاستعانة، والحمد مضاف إلى الفاعل، والمعنى: أسبح الله بما حمد به نفسه، أي: أنزه الله بما حمد به نفسه، وهذا يقيّد التنزيه بأنَّه متضمن للإثبات[43].

يقول الفخر الرازي رحمه الله : "وَالتَّسْبِيحُ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّحْمِيدِ، لِأَنَّ التَّسْبِيحَ عِبَارَةٌ عَنْ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَمَّا لَا يَنْبَغِي، وَالتَّحْمِيدَ عِبَارَةٌ عَنْ وَصْفِهِ بِكَوْنِهِ مُفِيضًا لِكُلِّ الْخَيْرَاتِ وَكَوْنُهُ مُنَزَّهًا فِي ذَاتِهِ عَمَّا لَا يَنْبَغِي، مُقَدَّمٌ بِالرُّتْبَةِ عَلَى كَوْنِهِ فَيَّاضًا لِلْخَيْرَاتِ وَالسَّعَادَاتِ، لِأَنَّ وُجُودَ الشَّيْءِ مُقَدَّمٌ عَلَى إِيجَادِ غَيْرِهِ، وَحُصُولُهُ فِي نَفْسِهِ مُقَدَّمٌ عَلَى تَأْثِيرِهِ فِي حُصُولِ غَيْرِهِ "[44]

وقد كان منهج جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام حيث دعوا أقوامهم إلى تسبيح الله –تعالى–؛ وذلك لما يطغى على قلب الإنسان من تأثير الحواس التي تثير معاني التشبيه فيه، وأمّا الحمد فإنّه يزيد في إيمان القلب وشعوره بأنّ المنعم الوحيد هو الله جلّ في عُلاه، وقد حثّ الله –تعالى– على حمده، وذلك لأنّ القلب يطغى عليه شعور بوجود منعم سوى الله –تعالى– [45] .

ولقد ورد ذكر الحمد وتحميد الرب تعالى في كتابه الكريم بعد التسبيح في عدّة مواضع والحكمة من في ذلك أن التخلية مقدمة على التحلية وإزالة ما لا ينبغي مقدم في الرتبة على فعل ما ينبغي [46] ، فإنّ الحمد إثبات وهذه التحلية، والتسبيح تنزيه وتبرئة المولى من العيوب والنقائص وهذا تخلية فمحلها التقديم .

المبحث الثاني: ما ورد من اقتران التسبيح بالتحميد من الكتاب والسنة،وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من القرآن الكريم.

ورد اقتران التسبيح بالتحميد في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً، كما يلي:

([43]) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام (ص139)، تفسير سورة النصر ،لابن رجب(ص72).
([44]) تفسير الرازي(27/125-126).
([45]) الفرق بين الحمد والتسبيح على موقع : "موضوع" https://mawdoo3.com
([46]) انظر : تفسير الرازي(17/7).

تسبيح الله تعالى وحمده لذاته المقدسة، وهو تعليم للناس كيف يسبحون ويحمدون ربهم، قال الله تعالى: چپ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ (الروم: 17–18). وكذلك قوله تعالى: چئۈىىيئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى چ(الصافات).

وسبعة مواضع منها أمرٌ للنبي ﷺ أن يسبح الله حامداً له، نحو قوله تعالى: چچچچ (الحجر:98)، وكذلك في سورة طه: چڈڈڈ ژژڑ ڑ ک ک ک ک چ (طه:130)، وسورة الفرقان: چٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ چ (الفرقان:58)، وسورة غافر: چژڑڑکککگگگگچ (غافر:55)، وسورة ق: چچ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ چ (ق:39)، وسورة الطور: چيئج ئح ئم ئىئيبج بح بخ بم بىچ (سورة الطور:48)، وسورة النصر: چچ چ چ ڍڍ ڌ ڌ ڎ چ (سورة النصر:3).

وهذه الآيات التي يأمر الله تعالى فيها نبيه محمداً ﷺ بالتسبيح مصاحباً للحمد، جاءت في مناسبات ثلاث:

الأولى: في مواجهة أعباء الرسالة ، ودعوة الناس إلى الدين الحق، وما يلحقه في ذلك من ضيق الصدر والحزن من عدم إسلام من لم يسلم ، فأُمر بالصبر مع التسبيح والحمد، كما أُمر أيضاً بالتوكل على الحي الذي لا يموت مع التسبيح والحمد، وهذا –والله أعلم– لما في التسبيح والحمد من أثر في قوة النفس ،وتحمّل القلب، وانشراح الصدر حين ترد على الإنسان النوازل والملمّات، الأمر الذي يبيّن أثر التوحيد والدين الخالص بتنزيه الله تعالى ،والثناء عليه بمحامده وصفات كماله.

والمناسبة الثانية: في أول الصباح والبكور، كما في قوله تعالى: چبجبحبخبم بىچ، والمعنى: " حين تقوم وقت الهبوب من النوم، وهو وقت استقبال أعمال اليوم وعنده تتجدد الأسباب التي من أجلها أمر بالصبر والتسبيح والحمد"[47].

([47]) التحرير والتنوير(27/ 85).

والمناسبة الثالثة: في ختام حياة النبي ﷺ بعد أن بلّغ البلاغ المبين، وترك الناس على المحجة البيضاء، وأظهره الله تعالى على من خالفه، : چﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ چ (سورة النصر).

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: "هذه السورة نُعِي فيها إلى رسول الله ﷺ نفسه الكريمة، واعلم أنك إذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا، فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا، فالآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى"(48). والأمر بختم الحياة بالتسبيح والحمد والاستغفار للنبي ﷺ يدل على شأن توحيد الله تعالى بتزيهه عما لا يليق به ، وإثبات المحامد وصفات الكمال له تعالى.

وورد أيضاً في عشرة مواضع حكاية حال المسبّحين بحمد الله تعالى على ما يلي:

تسبيح المخلوقات كلها، قال الله تعالى: چﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ چ (الإسراء: 44).

وتسبيح أهل العلم والإيمان، قال الله تعالى: چﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ چ (السجدة: 15).

وتسبيح الملائكة من حملة العرش، قال الله تعالى: چﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘچ(غافر 7)، وكذلك تسبيح الملائكة عامة، قال الله تعالى: چﭟ ﭠ ﭡ ﭢچ(البقرة 30)، وأيضاً قول الله تعالى: چﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ چ (الزمر 75)، وكذلك قول الله تعالى: چﭴ ﭵ ﭶ ﭷچ(الشورى: 5).

وتسبيح الرعد، قال الله تعالى: چﯙ ﯚ ﯛ ﯜ چ (الرعد: 13).

ومن اللطائف الكريمة أنَّ هذا الذكر نوع من أنواع نعيم أهل الجنة، إذ يُلهمون التسبيح والتحميد كما يُلهمون النَّفَس، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله ◆، عن النبي ﷺ، وفيه: ((يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النَّفَس))(49)، بمعنى: أنَّ هذا الذكر يُلقى في نفوسهم، ويجري منهم كما يجري النَفَس بلا تكلّف، " ووجه التشبيه أنَّ تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه، ولا بدَّ له منه،

(48) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (8/ 512)

(49) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2835).

فجعل تنفسهم تسبيحاً، وسببه :أنَّ قلوبهم تنوّرت بمعرفة الربِّ سبحانه، وامتلأت بحبه، ومن أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره"[50].

وهذا ما بيّنه الله تعالى بقوله:چ ج چ چ چچ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ چ.

والدعوى هنا بمعنى: الدعاء، أي: دعاء أهل الجنة فيها التسبيح، وآخر دعائهم التحميد، فلهم دعوى وخاتمة دعوى، وهو التسبيح والتحميد، فيكون إطلاق الدعاء على هذا التسبيح والتحميد من أجل أنه أريد به خطاب الله تعالى، لإنشاء تنزيهه وحمده، والاقتصار على كون دعواهم في الجنة التسبيح والتحميد يشعر بأنّهم لا دعوى لهم في الجنة إلا ذلك القول[51].

وعندما يتأمل المسلم في تخصيص أهل الجنة بهذا القول: چچچچ چڈڈڈچ، يتبيّن له عظيم شأن التسبيح والتحميد، لأنَّ أهل الجنة في غاية النعيم، مما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، وليس لهم حاجة يسألون الله تعالى إياها، فتشتاق نفوسهم إلى مقام القرب من الله تعالى فيسبحونه ويحمدونه، لأنَّ ذلك أدلُّ " لفظ على التمجيد والتنزيه، فهو جامع للعبارة عن الكمالات"[52].

وكذلك أيضاً من أسباب التسبيح والتحميد " لما يرون من تضاعف نعم الله عليهم، فتكرّر وتعاد وتزاد، فليس لها انقضاء ولا أمد"[53]، "فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم أكمل اللذات، الذي هو ألذّ عليهم من المآكل اللذيذة، ألا وهو ذكر الله الذي تطمئن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو لهم بمنزلة النَّفَس، من دون كلفة ومشقة"[54].

وحسبنا في شأن التسبيح والتحميد ومنزلته أنَّه من نعيم أهل الجنة.

([50]) فتح الباري شرح صحيح البخاري ،لابن حجر العسقلاني (6/ 326)، وانظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ،للمناوي (433/2)

([51]) انظر: التحرير والتنوير (11/ 102).

([52]) المصدر السابق (11/ 103).

([53]) تفسير ابن كثير (4/ 251).

([54]) تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 358).

المطلب الثاني: من السنة النبوية.

ورد في السنة النبوية فضل التسبيح مقروناً بالتحميد على وجه الخصوص، الأمر الذي يدلُّ على شأن هذا النوع من الذكر، لما يتضمنه من معاني التوحيد التي ترسخها جارحة اللسان لتستقرَّ في القلب، لأنَّ اللسان باب إلى القلب، فما يلهجه اللسان دائماً يبقى حيّاً في القلب، ومن أعظم الأذكار فضلاً صيغة التسبيح والتحميد، فقد ورد بخصوصها أحاديث تبين شأنها، كما أنَّها أيضاً تندرج في فضل عموم الأذكار، وقد جمعت ما ورد في صيغة التسبيح والتحميد فحسب على ما يلي:

الحديث الأول: عن أبي هريرة ♦ عن النبي ﷺ قال : ((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده)) متفق عليه[55].

الحديث الثاني: عن أبي هريرة ♦ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حطّت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر)) متفق عليه[56].

الحديث الثالث: عن أبي هريرة ♦ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد)) رواه مسلم[57].

الحديث الرابع: عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: ((ما زلتِ على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبي ﷺ: لقد قلتً بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته)) [58].

وهذا الحديث ظاهره تكثير العدد من هذا الذكر المبارك.

([55]) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (6043)، ومسلم في صحيحه برقم (2694).
([56]) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (6042)، ومسلم في صحيحه برقم (597).
([57]) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2692).
([58]) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2726).

الحديث الخامس: عن أبي ذرٍّ: أنّ رسول الله ﷺ سُئل: أيُّ الكلام أفضل؟ قال: ((ما اصطفى الله لملائكته، أو لعباده :سبحان الله وبحمده)) [59] .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله- سبب هذا التفضيل وذلك جمعاً بينه وبين الأحاديث الآتية: " يمكن أن يكون قوله: سبحان الله وبحمده مختصراً من الكلمات الأربع، وهي: سبحان الله ،والحمد لله ،ولا إله إلا الله ،والله أكبر، لأنَّ سبحان الله تنزيه له عما لا يليق بجلاله، وتقديس لصفاته من النقائص، فيندرج فيه معنى: لا إله إلا الله، وقوله: وبحمده صريح في معنى: والحمد لله، لأنَّ الإضافة فيه بمعنى: اللام في الحمد، ويستلزم ذلك معنى: الله أكبر، لأنَّه إذا كان كل الفضل والأفضال لله ومن الله، وليس من غيره شيء من ذلك، فلا يكون أحد أكبر منه، ومع ذلك كله فلا يلزم أن يكون التسبيح أفضل من التهليل، لأنَّ التهليل صريح في التوحيد، والتسبيح متضمن له"[60].

الحديث السادس: عن أبي ذرٍّ ♦ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ألا أخبرك بأحبّ الكلام إلى الله؟ قلت:يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله، فقال:إنَّ أحبّ الكلام إلى الله:سبحان الله وبحمده)) [61].

الحديث السابع: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر من قول ((سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه))، قالت: فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقال: ((خبّرني ربي أنَّي سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها)) ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ فتح مكة ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ)) (النصر) [62].

وكذلك جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: ((سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي))، يتأوّل القرآن. [63] .

---

(59) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2731).
(60) فتح الباري شرح صحيح البخاري (207/11).
(61) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2731).
(62) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (484).
(63) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (817)، ومسلم في صحيحه برقم (484).

الحديث الثامن: عن سمرة بن جندب ♦ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهنَّ بدأت)) أخرجه مسلم [64].

وسبب هذا التفضيل لأنَّ هذه الكلمات "تضمَّنت تنزيهه عن كل ما يستحيل عليه، ووصفه بكل ما يجب له من أوصاف كماله، وانفراده بوحدانيته، واختصاصه بعظمته"[65].

الحديث التاسع: في الأذكار بعد الصلوات المكتوبة في حديث أبي هريرة ♦ عن النبي ﷺ قال: ((تسبّحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة))[66]، وهذا فيه التسبيح والتحميد بقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر.

الحديث العاشر: في أذكار النوم، ومنها ما جاء في حديث فاطمة رضي الله عنها لما سألت النبي ﷺ خادماً فقال لها ولزوجها: ((ألا أعلمكما خيراً مما سألتما؟إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبرا الله أربعاًوثلاثين،وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم)) [67].

الحديث الحادي عشر: ما رواه ابن جرير بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء، إلا قال: ((سبحان الله وبحمده))، فقلت: يا رسول الله، إنك تكثر من سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت: سبحان الله وبحمده، قال: ((إني أمرت بها، چ ڤ ڤ ڤ چ..إلى آخر السورة)) [68].

وهذه الأحاديث التي ذكر فيها تسبيح الله وتحميده، تبيّن أنَّ من هذا الذكر ما هو ذكر مطلق – سيما صيغة–: سبحان الله وبحمده، إذ هو ذكرٌ في كل وقت، كما دلَّ عليه حديث أم سلمة الآنف في ختام حياة النبي ﷺ، كما أنه أيضاً ذكر يراد منه تكثير العدد كما في حديث جويرية، وقد رُغّب فيه لكونه حبيباً إلى الرحمن ثقيلاً في الميزان خفيفاً على اللسان.

ومنه ما هو مقيّد، إذ إنه من أذكار أدبار الصلوات، ومن أذكار طرفي النهار، وأذكار النوم ؛ بل كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده هذا الذكر بخصوصه: التسبيح مقترناً بالتحميد، كما في

([64]) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2137).
([65]) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبي العباس القرطبي (461/5).
([66]) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (595).
([67]) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (3705)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (2727).
([68]) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن (711/24).

حديث عائشة، فما هو السرُّ من وراء ذلك؟ لا ريب أنَّ هذا الذكر بخصوصه له دلالات عقدية عميقة يعيشها المسلم آناء الليل والنهار، بكثرة ترداده له على لسانه ليجد طريقه إلى القلب لتتمكن منه ما يحويه من عقائد يقينية، وهذا ما يأتي في المبحث الآتي.

المبحث الثالث: الدلالات العقدية من اقتران التسبيح بالتحميد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف الدلالات العقدية لغة واصطلاحاً

الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء.

فالأول قولهم: دللت فلانا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بين الدلالة والدلالة الأصل الآخر قولهم: تدلدل الشيء، إذا اضطرب..."[69] .

وفي لسان العرب: " والدَّلِيل ما يُسْتَدَلُّ به، والدَّلِيل الدَّالُّ ،وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أَعلى ،وأَنشد أَبو عبيد: إِنِّي امْرُءٌ بالطُّرْق ذو دَلالات ،والدَّلِيل والدِّلِّيلي الذي يَدُلُّك..."[70] .

يتضح مما تقدم أنّ الدلالة تعني الإرشاد للشيء وكذا التسديد والتوضيح والإبانة كما قال تعالى :

چ ئۇ ئۆ ئۈ ئې ى ى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي چ (سبأ: ١٤).

أما الدلالة في الاصطلاحي فيقول الإمام الزركشي رحمه الله :" الدلالة: وقد اختلف فيها، فالصحيح أنها كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم منه المعنى من كان عالما بوضعه له."[71] .

كما يعرف ابن النجار الفتوحي–رحمه الله– هذه اللفظة بقوله :" الدَّلالَةُ الْمُرَادَةُ هُنَا "مَا" يَعْنِي الَّتِي "يَلْزَمُ مِنْ فَهْمِ شَيْءٍ" أَيِّ شَيْءٍ كَانَ "فَهْمُ" شَيْءٍ "آخَرَ" ،يَعْنِي: كَوْنَ الشَّيْءِ يَلْزَمُ مِنْ فَهْمِهِ فَهْمُ شَيْءٍ آخَرَ."[72] .

وغرضنا في هذا المبحث هو ما يشير إليه النص ويدل عليه .

([69]) معجم مقاييس اللغة (2/259-260).
([70]) لسان العرب(1414/2)
([71]) البحر المحيط، للزركشي (268/2).
([72]) شرح الكوكب المنير لابن النجار (125/1).

والعقدية مأخوذة من العقيدة ، والعقيدة لغة :فعلية بمعني مفعولة ، أي معقودة ، فهي مأخوذة من العقد وهو: الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والإبرام والإحكام والتوثيق ، ويستعمل ذلك في الأجسام المادية كعقد الحبل ، ثم توسع في معني العقد فاستعمل في الأمور المعنوية ، كعقد البيع وعقد النكاح [73].

ويقول الفيومي –رحمه الله– : "اعْتَقَدْتُ" كذا ": عَقَدْتُ عليه القلب والضمير حتى قيل "العَقِيدَةُ" ما يدين الإنسان به وله "عَقِيدَةٌ" حسنة سالمة من الشكّ..."[74] .

وأما تعريف العقيدة في الاصطلاح: افقد اشتهر عند الكثيرين أنّ لفظ (العقيدة) لم تأتِ به النصوص ، والصواب أنّ النص جاء بذكر هذا اللفظ كما في حديث زيد بن ثابت ♦ وفيه : ((لا يَعْتَقِدُ قَلْبُ مُسْلِمٍ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ)). قَالَ: قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: ((إِخْلَاصُ الْعَمَلِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ))[75] .

وقد كثرت التعاريف في ذلك ، ويمكن القول بأنّ تعريف العقيدة في الاصطلاح هو : " الإيمان الجازم بالله ، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه السلف الصالح . والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ، ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – بالطاعة والتحكيم والاتباع "[76] .

فالعقيدة إذن هي الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقينا ثابتا لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك .فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يُسَمى عقيدة، وسمي عقيدة؛ لأَنَّ الإنسان يعقد عليه قلبَه.

وعُرّفت العقيدة الإسلاميَّة بأنها : "الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وأُلوهيته وأَسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب،

([73]) انظر : الصحاح للجوهري (510/2)، ولسان العرب، لابن منظور (296/3)مادة: عقد.

([74])المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ص218).

([75])أخرجه بهذا اللفظ الدارمي في سننه(302/1) برقم 235، وانظر :سلسلة الأحاديث الصحيحة ،للألباني (760/1)برقم 403 بلفظ : ((ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم ...)).

([76]) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها،للأستاذ الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل(ص3).

وأصول الدِّين، وما أَجمع عليه السَّلف الصَّالح، والتسليم التام لله تعالى في الأَمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم "[77] .

المطلب الثاني : الدلالات العقدية من اقتران التسبيح بالتحميد.

لاشك أنّ لاقتران التسبيح بالتحميد دلالات عقدية تقوي الإيمان وترسخ العقيدة في قلب المؤمن ؛ فإن للأذكار أثرا كبيرا في حياة المسلم ولا ريب ، كيف إذا كانت تلك الأثار متعلقة بتنزيه الله وتعظيمه وإثبات الكمال له سبحان ؟!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–:"فإنّ التسبيح والتحميد يتضمن التعظيم ويتضمن إثبات ما يحمد عليه ،وذلك يستلزم الإلهية ،فإنّ الإلهية تتضمن كونه محبوبا ؛بل تتضمن أنه لا يستحق كمال الحب إلا هو ،والحمد هو الإخبار عن المحمود بالصفات التي يستحق أن يجب، فالإلهية تتضمن كمال الحمد ،ولهذا كان الحمد لله مفتاح الخطاب ،وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم ، وسبحان الله فيها إثبات عظمته "[78] .

ففي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ذكر بعض هذه الدلالات العظيمة في اقتران التسبيح والتحميد وهو تضمنهما تعظيم الله وتمجيده المستلزم للألوهية التي خلق العباد لأجلها كما قال سبحانه : چچ چ چ چ چ چ چ (الذاريات).

كما أنّ الترابط وثيق بين هذين اللفظين ، فقد شمل هذا الاقتران معاني الكمال كله لله تعالى ، ونفي النقائص عن الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته .

وكذلك فإن "التسبيح" يتضمن: التنزيه المستلزم للتعظيم .و"الحمد" يتضمن: إثبات المحامد المتضمن لنفي نقائصها [79] .

لذا فإنّ النصوص الشرعية جاءت بذكر التَّحْمِيدُ مَقْرُوناً بِالتَّسْبِيحِ وَتَابِعاً لَهُ، وَفِي الْقُرْآنِ {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} وَقَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ} . وَهَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ إحْدَاهُمَا مَقْرُونَةٌ بِالتَّحْمِيدِ وَالْأُخْرَى بِالتَّعْظِيمِ والتَّسْبِيحَ فِيهِ نَفْيُ السُّوءِ وَالنَّقَائِصِ الْمُتَضَمِّنُ إثْبَاتَ الْمَحَاسِنِ وَالْكَمَالِ ،وَالْحَمْدُ

---

[77] الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)،لعبد الله بن عبد الحميد الأثري (ص24).

[78] دقائق التفسير (2/ 366).

[79] قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص23).

إنَّمَا يَكُونُ عَلَى الْمَحَاسِنِ. وَقُرِنَ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالتَّعْظِيمِ كَمَا قُرِنَ بَيْنَ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام ؛إذْ لَيْسَ كُلُّ مُعَظَّمٍ مَحْبُوبًا مَحْمُودًا ،وَلَا كُلُّ مَحْبُوبٍ مَحْمُودًا مُعَظَّمًا ،والْعِبَادَةَ تَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْحُبِّ الْمُتَضَمِّنَ مَعْنَى الْحَمْدِ ،وَتَتَضَمَّنُ كَمَالَ الذُّلِّ الْمُتَضَمِّنَ مَعْنَى التَّعْظِيمِ ،فَفِي الْعِبَادَةِ حُبُّهُ وَحَمْدُهُ عَلَى الْمَحَاسِنِ ،وَفِيهَا الذُّلُّ لَهُ النَّاشِئُ عَنْ عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ. فَفِيهَا إجْلَالُهُ وَإِكْرَامُهُ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ غَايَةَ الْإِجْلَالِ وَغَايَةَ الْإِكْرَامِ. وَإِثْبَاتُ الْكَمَالِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ النَّقَائِضِ [80] .

كما جاءت الأدلة الكثيرة في القرآن والسنة باقتران التسبيح باسم دال على التعظيم، أو بالحمد؛ وسبب ذلك أنّ التسبيح تنزيه عن صفات النقص والعيوب والآفات، والحمد ثناء وإثبات الكمال لله **تعالى** ،" كما قال سبحانه : چ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ چ (الإسراء: 44) ، وقال سبحانه: چ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ چ (الواقعة) .

فتلبّس العبد بحمد الله من أجل توفيقه له، وأسبحه أي :أنزهه وألتبس بحمده ،وقيل: أي أسبحه مع ملابسة حمدي له ، وقدم التسبيح على التحميد؛ لأنه تنزيه عن صفات النقص والحمد ثناء بصفات الكمال والتخلية مقدمة على التحلية ، والتسبيح إشارة إلى الصفات السلبية والحمد إشارة إلى الصفات الوجودية [81] .

ويقول الشيخ صالح آل الشيخ –وفقه الله –في شرحه على مسائل العقيدة الواسطية : " {وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} :فكون الله جل وعلا لم يتخذ ولدا هذا من أسباب حمده جل وعلا، فهو يحمد على كماله في الربوبية ،وعلى كماله في الأسماء والصفات ،وعلى وجوب وثبوت جميع أنواع الجلال والكمال له في ذلك .ولهذا لم يتخذ ولدا .

فلأجل ثبوت الحمد له لم يتخذ ولدا ، لأجل ثبوت الحمد لله جل وعلا لم يكن له شريك .

ولهذا أعظم الكلمات التي تجمع بين هذين الأمرين اللذين يحبهما الله جل وعلا كلمة التسبيح والتحميد (سبحان الله والحمد لله) و(سبحان الله وبحمده) ونحو ذلك "[82] .

([80]) انظر: مجموع الفتاوى (10/251-251) باختصار .
([81]) انظر: الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (1/179) بتصرف واختصار .
([82])اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية ،لصالح آل الشيخ (1/493).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله –:"ويأتي" التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير" على رأس ذكر الله؛ فهو من أجل منازل الذكر ومراتبها العالية. فهو غراس الجنة الذي طلب نبي الله إبراهيم الخليل من نبينا ﷺ أن يخبرنا به ليلة أسري به؛ بقولـــــــــه: "يا محمد! أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبـــة التـــربة، عذبـــة الماء، وأنها قيـــــعان، وأنّ غراســـــها: سبحـــــان الله، والحمـــــــد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر [83] "[84] .

كما أنّ "في هذه الكلمات من المعرفة بالله، والثناء عليه بالتنزيه والتعظيم مع اقترانه بالحمد المتضمن لثلاثة أصول: أحدها: إثبات صفات الكمال له سبحانه، والثناء عليه، الثاني: محبته والرضا به، الثالث: فإذا انضاف هذا الحمد إلى التسبيح والتنزيه على أكمل الوجوه وأعظمها قدرًا وأكثرها عددًا وأجزلها وَصْفًا، واستحضر العبد ذلك عند التسبيح، وقام بقلبه معناه: كان له من المزية والفضل ما ليس لغيره"[85] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" التسبيح والتحميد يجمع النفي والإثبات: نفي المعايب وإثبات المحامد، وذلك يتضمن التعظيم "[86] .

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:" ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما في هذا الموضع، وفي مواضع كثيرة من القرآن "[87] .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى :"والأمر بتسبيحه يقتضي أيضا تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له؛ فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده "[88] .

([83])أخرجه الترمذي في جامعه برقم (3462) عن ابن مسعود مرفوعا ، وحسنه الشيخ الألباني :انظر :صحيح سنن الترمذي(3462)،والسلسلة الصحيحة برقم (105).

([84])قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص5)

([85])المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم (ص20).

([86])قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص22).

([87])تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (46/7).

([88])مجموع الفتاوى(125/16).

وقال أيضا: " فَإِنَّ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ يَتَضَمَّنُ التَّعْظِيمَ؛ وَيَتَضَمَّنُ إثْبَاتَ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْإِلَهِيَّةَ فَإِنَّ الْإِلَهِيَّةَ تَتَضَمَّنُ كَوْنَهُ مَحْبُوبًا؛ بَلْ تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ كَمَالَ الْحُبِّ إلَّا هُوَ ...."[89] .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "التسبيح ثناء عليه سبحانه يتضمن التعظيم والتنزيه "[90] .

وبهذا يعلم ما في صيغة التسبيح المقرون بالتحميد من دلالة عظيمة في عقيدة التوحيد، وما في الجمع بين التسبيح والتحميد في ذكر الله كما أشار كما أشار بعض المفسرين – عند تفسير قول الله تعالى {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (17) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (18)} (الروم/17، 18)- إلى أن الله تعالى ذكر الحمد معترضًا بين أوقات التسبيح للاعتناء بشأنه، والإشعار بأن حقهما أن يجمع بينهما [91] .

وقد دلت السنة على المراد بقوله:{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ} الجمع بين التسبيح والتحميد لفظًا ومعنى، وقولاً واعتقاداً، كما في حديث عَائِشَةَ –رضي الله عنها–قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)). يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ [92] .

فقولها –رضي الله عنها–: (يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ) أي :يفعل ما امره الله به في القرآن، تعني قوله: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} (النصر:3) [93] .

وبيّن أبو العباس القرطبي رحمه الله وجه هذا الاقتران بظهور وجه آخر وهو: إبقاء معني الحمد علي أصله ، وتكون الباء باء السببية، ويكون معناه: بسبب أنك موصوف بصفات الكمال والجلال سبَّحك المسبّحون وعظمَك المعظمون [94] .

ومما ينبغي التنبه له أنّ الجمع بين التسبيح والتحميد يكون بالاعتقاد وبالقول ، فالاعتقاد يتم باعتقاد معناهما مع تطبيق ذلك واقعًا، بإثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقائص والمثيل، وأما القول بكثرة ترادها مع استحضار ما دلت عليه من معان عظيمة .

([89])المصدر السابق(252/10).
([90])المنار المنيف، لابن القيم(ص18).
([91])انظر بحث على الشبكة على موقع ملتقى أهل الحديث : https://al-maktaba.org/book
([92])تقدم تخريجه .
([93])انظر بحث على الشبكة على موقع ملتقى أهل الحديث : https://al-maktaba.org/book
([94]) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم(88/2).

وأختم بحثي هذا بما سطره الإمام ابن القيم رحمه الله مثنيا ممجدا لله تعالى ،حيث قال :" فكل صفة عليا واسم حسن وثناء جميل وكل حمد ومدح وتسبيح وتنزيه وتقديس وجلال واكرام فهو لله عز وجل على أكمل الوجوه وأتمها وأدومها، وجميع ما يوصف به ويذكر به ويخبر عنه به فهو محامد له وثناء وتسبيح وتقديس. فسبحانه وبحمده، لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه ؛ بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني به عليه خلقه، فله الحمد أولا واخرا حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما ينبغي لكرم وجهه، وعز جلاله، ورفيع مجده، وعلو جده "[95] .

هذا ما أردتُ كتابته ، والحمد لله حمداً لا انقطاع له فليس إحسانه عنا بمقطوع [96]

والله أعلم ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

([95]) طريق الهجرتين (ص218).

([96]) من شعر سحيم عبد بني الحسحاس. انظر ديوانه (ص68).

الخاتمة

الحمد الله الذي بفضله ونعمته تتم الصالحات ، ومن تلكم النعم تيسيره لي بإتمام هذا البحث الذي أسأل الله التسديد والتوفيق فيما رجوت ، ،وبعد : فقد خلُص هذا البحث إلى جملة من النتائج ، من أبرزها:

-أنّ على المسلم أن يلهج لسانه بحمد ربه وتسبيحه وتعظيمه في كل أحواله: في منشطه ومكرهه، وفي سره وعلانيته ؛ فذلك من موجبات العبودية والسعي لدرجات الكمال فيها .

- ينبغي للمسلم عند ذكره لربه جل وعلا استشعار عظمة الله وكماله المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ،كما قال الخطابي رحمه الله : " الحَمِيدُ: هو المَحْمُود الذِي اسْتَحَق الحَمْدَ بِفَعَالِهِ، وَهوَ فَعِيْل بِمَعْنَى مَفْعولٍ، وَهوَ الذِي يُحمَدُ في السَّراء والضَّرَّاءِ، وَفي الشِّدةَ والرَّخَاءِ، لأنه حَكِيْم لَا يَجْرِي في أفْعَالِهِ الغَلَط، وَلاَ يعترِضُهُ الخطأ؛ فهو محمودٌ عَلى كل حَالٍ "[97] .فلا يقتصر التسبيح والتحميد على فعل اللسان؛ بل بالقلب واللسان جميعاً .

-أن تسبيحه سبحانه وتحميده متضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، لما له تعالى من الأسماء الحسنى والصفات العلى .

-أن لهذه الأذكار تأثيراً كبيرا في ترسيخ العقيدة وتقوية إيمان العبد وتنزيه الله عما لا يليق ،وتكون فائدة هذه الأذكار عند استحضار معانيها ودلالاتها .

-كثرة النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الآمرة بتسبيح الله تعالى وتحميده، مما يجدر بالعبد الاهتمام بذلك وفقه مسائل هذا الباب العظيم من مقويات الإيمان ومثبتاته.

- تبين من خلال البحث ما للتسبيح والحمد من أثر في قوة النفس ،وتحمّل القلب، وانشراح الصدر حين ترد على الإنسان النوازل والملمّات، الأمر الذي يبيّن أثر التوحيد والدين الخالص بتنزيه الله تعالى ،والثناء عليه بمحامده وصفات كماله.

-ما في اقتران التسبيح بالتحميد من الدلالات العقدية الدالة على كمال الله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله مع التنزيه ، فأضاف كمالات لله تعالى بالاقتران .

([97]) شأن الدعاء، للخطابي (ص78).

التوصيات:–

– اهتمام المسلم بباب الأذكار، وخاصة بما له صلة بتعظيم الله تعالى وإثبات صفات الكمال والجلال والعظمة والجمال .

– دراسة الألفاظ التي ترد في النصوص مقترنة كالاستغفار والتوبة، والتسبيح والتعظيم ونحوها واستخلاص الدلالات العقدية والمعاني العظيمة التي تحملها تلك الألفاظ لاسيما في الاقتران .

– إبراز أمور التعظيم والتنزيه لله تعالى ، وبيان علاقتها بعبادة الله تعالى ، وحق الرب على عبده في صرف تلك العبادات لله تعالى وحده لا شريك له .

فهرس المصادر والمراجع

1. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني ، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، الطبعة: السابعة 1323هـ،الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.
2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ) ، عام النشر : 1415 هـ - 1995 م،الناشر : دار الفكر -بيروت .
3. البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)،الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م، الناشر: دار الكتبي.
4. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، الطبعة: الأولى 1414 هـ، الناشر: دار الفكر - بيروت.
5. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، سنة النشر: 1984 هـ، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس.
6. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تأليف: أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
7. تفسير السعدي(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)،تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى 1420هـ ،الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت.
8. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور

عبد السند حسن يمامة، الطبعة الأولى، 1422 هـ ،الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

9. تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تأليف: أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، تحقيق : د عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الطبعة: الأولى، 1416هـ ،الناشر: دار ابن حزم – بيروت.
10. تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق : سامي بن محمد سلامة،الطبعة: الثانية 1420هـ،الناشر: دار طيبة .
11. تفسير القرآن، تأليف: أبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ) ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة: الأولى 1418هـ ،الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية.
12. تفسير سورة النصر، لابن رجب،تحقيق د. حسين ضياء الدين عتر، ، الطبعة الثانية 1407هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
13. تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)،عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، دار الكتب العلمية، بيروت .
14. التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، الطبعة: الأولى، 1410هـ ،الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت–القاهرة.
15. التيسير بشرح الجامع الصغير، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي ثم المناوي القاهري ، الطبعة: الثالثة، 1408هـ ، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض.

16. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الطبعة: السابعة 1422هـ ،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
17. جامع المسائل – المجموعة الثالثة، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد عزير شمس، الطبعة: الأولى، 1422 هـ،الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة.
18. الدعاء، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، 1413هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
19. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، الطبعة: الثانية 1404، مؤسسة علوم القرآن – دمشق.
20. ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دون تاريخ ، طبع بدار الكتب المصرية.
21. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ،تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة: الأولى، 1415هـ،،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
22. سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)،ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.
23. شأن الدعاء، المؤلف: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، الثالثة، 1412 هـ – 1992 م،الناشر: دار الثقافة العربية.

24. شرح الكوكب المنير أو المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر في أصول الفقه ،تأليف: تقي الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي ، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الطبعة: الطبعة الثانية 1418هـ - 1997 م،الناشر: مكتبة العبيكان–الرياض.
25. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م،دار العلم للملايين – بيروت.
26. صحيح البخاري(الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) ،تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ،الطبعة الثالثة، 1407هـ،الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت.
27. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)،تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
28. صحيح وضعيف سنن الترمذي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (برنامج منظومة التحقيقات الحديثية)..
29. طريق الهجرتين وباب السعادتين، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي "ابن قيم الجوزية" ، تحقيق : عمر بن محمود أبي عمر، الطبعة الثانية ، 1414 هـ، الناشر : دار ابن القيم – الدمام.
30. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع سنة 1379هـ ،الناشر: دار المعرفة – بيروت .
31. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، اعْتَنى به: عَبْد الرزَّاق بنْ عبْد المحْسن البَدْر، دار ابن الجوزي.

32. الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، تأليف: محمد بن علان الصديقي الشافعي المكي (المتوفى: 1057 هـ) ،الناشر: جمعية النشر والتأليف الأزهرية.
33. فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري ، الطبعة: الأولى، 1356، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر.
34. قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف–الرياض.
35. القاموس المحيط،تأليف : مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ) ،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة الطبعة: الثامنة، 1426هـ ،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
36. كتاب العين، تأليف: أبو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
37. اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية ،شرح :صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط1 1431هـ، دار العاصمة –الرياض.
38. لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ،الناشر: دار صادر – بيروت.
39. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، تأليف: أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل، الطبعة: الأولى 1412 هـ، الناشر: دار الوطن للنشر.
40. مجموع الفتاوى، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ،تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، عام النشر: 1416هـ/1995م ،الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.
41. المحكم والمحيط الأعظم ،تأليف: علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2000 م، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

42. مختار الصحاح، تأليف : زين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق : يوسف الشيخ محمد الطبعة الخامسة، 1420هـ،الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا.
43. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ – 1996م، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
44. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، تأليف: أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ) ،تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ، الطبعة: الأولى، 1412 هـ ،الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع–الرياض.
45. المصباح المنير، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة وتحقيق : يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية.
46. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تأليف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ، ابن هشام ،تحقيق: مازن المبارك /محمد علي حمد الله،الطبعة: السادسة، 1985،الناشر: دار الفكر – دمشق.
47. المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة – لبنان.
48. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ،تأليف: أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو وزملاؤه ، الطبعة: الأولى، 1417هـ ،الناشر: (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت).
49. مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عام النشر: 1399هـ – 1979م ،الناشر: دار الفكر.

50. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، تحقيق: يحيى بن عبد الله الثمالي ، د.ت، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
51. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، طبع سنة 1399هـ – 1979م، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
52. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ،تأليف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، الطبعة: الأولى، 1422هـ ،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية .

❖ **المواقع العلمية :**

*موقع ملتقى أهل الحديث : al-maktaba.org/book
*موقع البيان :https://www.albayan.co.uk
*موقع موضوع : https://mawdoo3.com
* موقع ملتقى أهل التفسير https://mtafsir.net